مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الجمهـــوريـــة
التاريخ : ١٩٧٤/٩/٧

حديث الرئيس مع «النهار»

نحن لانسقط من حسابنا قيام حرب خامسة
أى تغيير داخلى فى اطار الوحدة الوطنية

أدلى الرئيس السادات بتصريحات هامة عن تصـوره لاتجـاه الاحـداث بالنسـبة لازمة الشرق الاوسـط والتغييـرات المتوقعة فى مصر •

التغييرات الداخلية :

● **قال الرئيس** ــ فى حديثه مع غسان توينى رئيس تحرير جريدة « النهار » اللبنانية ــ ان أى تغيير فى الداخل لابد ان يكون فى اطار الوحدة الوطنية • حتى اذا استقر الرأى على قيام أحزاب فلابد أولا من الاتفاق على خط قومى تلتزم به هذه الاحزاب •

● سيطلب الرئيس من مجلس الشعب تعيين لجنة لتقصى الحقـائق فى هزيمة سنة ١٩٦٧ •• ليس للحساب ولكن للتاريخ •

فى الأزمـــة :

أكد الرئيس السادات على النقاط التالية :

❶ اسرائيل تريد الذهاب الى جنيف من موقع قوة •• وهـذا هو التفسـير للتصعيد الاسرائيلى الحالى •

❷ نحن لا نسقط من حسابنا امكانية حرب خامسة • فالعالم ملىء بالمتغيرات ، ويجوز ان يأتى متغير يجد فيه الاسرائيليون منفذا الى الحرب •

❸ أهم شىء ان نذهب الى جنيف والمبادأة فى أيدينا •

❹ أمريكا هى التى تحمى اسرائيل وتتحمل مسئولية الدفاع عنها [وقد دخلت أمريكا حرب أكتوبر فى اليوم الرابع ، واعترف كيسنجر فى أولى محادثاته معى ان أمريكا ستتدخل مبـاشرة اذا ضربت مصر جيب الدفرسـوار] • ومطلوب من امريكا الان ان تحدد ما هو مفهوم الامن الاسرائيلى •

❺ اذا تم اجتماع قمة مع السوفيت قبل قمة واشنطن ، فيجب أن يكون فى القـاهرة •

❻ قبل مؤتمر القمة العربى ، لابد من تنسيق بين دول المواجهة والفلسطينيين فلا حساب للسلم بدون الفلسطينيين ، ولا جنيف بدونهم •

❼ لا مشكلة بالنسبة لسيناء ، ولكن المشكلة الكبرى هى فى الجولان والقدس

... ولكننا عبرنا فانتصرنا

كيف يمكن ان هذا الرجل تفهمه الا من منظار التاريخ ؟

تظن انك جئت الى انور السادات تجلس فى حضرة فرعون ،ملايين البشر تتكاثر باستمرار مريع فى ظل حكمه .. فاذا بك امام بطل كالابطال المأساويين، يطيب له ، اكثر مايطيب ، ان يطلق بصره ، بل وبصيرته ، فوق الامواج ، على الشاطىء وكأنه ينظر معك،بل عبرك، الى التاريخ ، تاريخ يصارعه صراع ابطال الاسطورة ... وكلمة السرعنده « العبور » :

عبور القناة نقط ؟ لا بل بعدها«العبور الثانى » ، الى مرحلة البناء ... ثم العبور الثالث : الى التاريخ .

وفى ابعاد العبور الثلاثة ، هـذا الصراع بين الرجل وقدره ، ثم بينه وبين قدر مصر ... واخيرا بين قضية مصر وقدرها العربى .

« ان نكون اولا نكون .. تلك هى المسألة . امام الامة العربية فرصة ذهبية فى التاريخ ... لابد ان ندخل هذا العصر من بابه الواسع وفى هذا العام بالذات عام ١٩٧٤ ..بالتكنولوجيا، بالعلم ، بالتصنيع ، بالقوة ... اذا تخلفنا والله ضعنا ... اذا مشينا ، امامنا فرصة لعودة دورة المدنية التى دخلناها مرة ثم فاتتنا وراحت اوروبا ثم انتقلت الى امريكا .. انا اقول هذه الدورة ستعود الينا ... يجب ان نعود اليها ، ندخلها ، نتسلم زمامها ، نتحمل مسئولياتنا التاريخية فيها » .

ذلك هو العبور الحقيقى الاخير .

وتتذكر العبور الاخر ، من سنة ، على شاطىء مماثل ، حيث وقف القدر ينتظر العرب فى معركة الخمسة الاف دبابة والصواريخ التى لامثيل لها ومئـات الطائرات وجنود جيل بكامله .

تسأل السادات : لو عاد بنا الزمن الى اكتوبر مرة اخرى ، هل كنت تخوض الحرب ذاتها ؟

يجيب : « بالتأكيد ! »

وكان كذلك يجرى فك الارتباط ذاته.. لاشك فى نفسه ، لا محل للتشكيك ، لاتردد ، لاتوقف عند كل « المعارك الهامشية » التى اثيرت منذ ذاك .

انه الايمان فى نفس الرجل ، ايمان يجعله يتجاوز النقد ، وحتى العلم ، بغير مرارة ، لان الايمان عنده – وقل القدر – يجعله يرتفع حتى فوق الحساب .

يكاد عقلك العلمى يصعق عندماتسمعه يقول :

« عيبنا كعرب اننا لانحاول دائماأخذ الموقف العلمى فى العصر الذى نعيش فيه والـذى يأخذ به عدونا ، والذىيأخذ به العالمكله، والذى يستطيعالعالم انذاك ان يفهمنا لو اخذنا به ... فى كـل مشاكلنا انا احاول اخذ الموقف العلمى واضع نفسى فى مواجهة عقلية مـع المشكلة ... ولكن هذا لايعنى اطلاقا اننى اتخلى عن الايمان ... اطلاقا ... لانه ببساطة ، هكذا ، مثلا : لو انت ادخلت فى كومبيوتر حسبة عملية اكتوبر ١٩٧٣ ، حسبة المعركة لو ادخلتها فى اى كومبيوتر ، كان الكومبيوتر سيقول لك انها خاسرة ... ومع ذلك ، دخلنا المعركة بالايمان ، وربحنا ...وانتصرنا!

اليس ذلك هو القدر ؟

ربما ... ولكنه ، اقوى من القدر، الاعداد الصامت الطويل للمعركة الذى يطيب للسادات القائد التحدث عنه ، متهكما على الذين كانوا يتهكمون عليه يوم كان يقول انه سيحارب .. هو القوى الضخمة بالطبع [مرات ازيد من القوى التى دخلت فى اى معركة من الحروب العالمية السابقة) ولكنه كذلك الجندى العربى الذى قفز الى العصر ، عصر

التكنولوجيا ، ثم آمن بقدره وبأن عليه ان يحارب ، ويموت ، حتى يعيش ».

الجديد فى تحليل السادات اليوم ان مصر لم يكن لها الخيار بين الحرب وعدم الحرب ... حتى اقتصاديا ، لم يكن لها الخيار :

« قبل حرب اكتوبر ، كان الموقف الاقتصادى صعبا للغاية ... ضمان رغيف العيش فى عام ٧٤ لم يكن فى الافق ... لم يكن لدينا مليم عملة صعبة لسد ديوننا المستحقة او نشترى حاجاتنا ... ولو جاء عام ٧٤ ونحن فى هذا الموقف لما احتاجت اسرائيل ان تطلق طلقة واحدة ! ».

وما يقال عن الاقتصاد ، يقال عن **« التمزق الداخلى فى مصر ... »**

يتحدث عنه السادات بمرارة والم !!

« التمزق كان شيئا رهيبا ... »

كان لابد اذن من المعركة من اجل انقاذ مصر ، من اجل العودة الى وحدتها الوطنية ، من اجل الطموح الى اعادة بنائها ».

تلك كانت المأساة !

فهل كانت الحرب اذن مجازفة ؟

لا ... بل رهان مع القدر ». وكل رهان ، كانت «محسوبة » ». محسوبة علميا ، لانه كان علينا اما ان نحارب ونربح ، فنعيش ... او اذا خسرنا ، نموت على كل حال !

ويعود السادات الى التحليل العلمى . نظرية الامن الاسرائيلية ونظرية الحرب العربية التى هزمتها :

« هزمنا نظرية الامن الاسرائيلية القائمة على الشعب الاساسية التالية :

الحرب على جبهتين ... حاربنا على جبهتين ، وهزمناهم .

عدم تقبل خسائر كبيرة ... كبدناهم خسائر كبيرة جدا ، بل يصفونها بانها لخسائر جيل باكمله !

الحرب الخاطفة ... نحن خضنا الحرب الخاطفة ، وحطمنا خطوط الدفاع التى كانوا يقولون انها لا تحطم ، وابطلنا مفاهيم العمق الاستراتيجى الذى يحمى حدود اسرائيل !

والان ماذا عن السلم ؟

وهل من « جولة خامسة » ممكنة قبل السلام ؟

يعترف السادات أن اسرائيل تريد الدخول الى مخادعات السلام من موقع قوة ... من باب واسع الى جنيف . ذلك هو التفسير للتصعيد الاسرائيلى ، الذى يحاولون به « **استعادة الهيبة المفقودة منذ حرب اكتوبر** » ...

ولا يسقط السادات من حسابه امكانية حدوث حرب خامسة . فالعالم مليء بالمتغيرات - يقول - ويجوز أن يأتى متغير دولى يجد فيه الاسرائيليون منفذا يدخلون منه الى الحرب « الاسرائيليون سريعون جدا فى الاستجابة للمتغيرات **بعكسنا نحن العرب** ... »

من هذه الزاوية ، يجب ان ننظر الى الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان ... فضلا عن مطامع اسرائيل التقليدية فى الجنوب .

بقوة ، يقول السادات :

« والله الحرب هذه ليست مسؤولية لبنان وحده ... يجب الا نحمى لبنان وحده مسؤولية العدوان الاسرائيلى ... لقد اصبح لبنان وحده فى الساحه ويجب علينا ان نقف جميعا معه . »

ويتذكر السادات طرح القضية فى الجامعة العربية المرة الماضية ، فيقول:

« انا فى المرة الماضية كنت واضحا فى ذلك تماما . قلت انه يجب ان نساند لبنان ونشاركه جميعا ، ايا كان المطلوب ... قلت للجميع ايا كان المطلوب، حتى لو كانت الحاجة الى نقل قوات من الجبهة المصرية ، فانا مستعد ، انما حسب رغبة لبنان ، لان لبنان له ظروفه وله اوضاعه . »

هل تقف الحرب اللبنانية فى جنيف ، أم تتوسع وتعم ؟

يجيب السادات من غير أن يجيب :

« **انا مع أن ياتى لبنان جنيف •• من غير شك ... ضرورى ولكن هذا الامر متروك للبنان تقريره • واياكان القرار ، فنحن مع لبنان •** »

هل يعنى ذلك أن الوضع اللبنانى يمكن أن يهدد بحرب ، أم أن علاجه فى اطار السلام ؟

مرة اخرى ، الامر متوقف على المتغيرات الدولية والسباق على الاستجابة لها بين اسرائيل والعرب •

وفى نظر السادات أن حتى تلك المتغيرات التى صنعها العرب بأنفسهم ـ « **كمتغير ٦ اكتوبر** » ـ تراهم ، فى نظر السادات ، يتباطاون احيانا فى الاستجابة لها أو التجاوب معها والافادة من الفرص التى تتيحها • من اجل ذلك « **يجب أن نكون جاهزين عسكريا ، وبخططنا** ، وجاهزين كذلك **نفسيا واقتصاديا وعمرانيا ، ومن كل ناحية** • »

من هنا هذه المسؤولية الضخمة الفريدة : أن نعد فى آن معا للحرب وللسلم •

وسلم جنيف ، فى نظر السادات كعملية الحرب ، يجب أن نعد له بالدقة ذاتها وأكثر •

« **الى هذه اللحظة ، نحن منتصرون وجميع الاوراق فى يدنا ••• اوراق الانتصار كلها** ••• »

ويمضى السادات يقول كيف أننا القوة السادسة فى العالم ••• وعندنا سلاح البترول ••• ثم أصبح عندنا سلاح راس المال ، بدأنا نتعلم كيف نستعمله وسنحسن استعمـــاله ولا ريب ••• والتضامن العـــربى ، القوة الدافعة الاساسية التى يجب الا تعيقها اية معارك هامشية أو طفيلية ••• ثم اخيرا الوضع الدولى الذى هو فى مصلحتنا : **أمريكا** التى استجابت للمتغير الدولى الذى صنعه العرب فى حرب اكتوبر ••• واستجابتها لا تعنى انها تقف معنا : « **هى لن تقف الى جانبنا ابدا** » ••• ثم الاتحـاد السوفيتى الذى كان معنا ولا مجال لانكار فضله وعاد الان يستجيب لمتطلباتنا الجديدة ••• ثم الاقتناع العربى بأن لا مصلحة لنا فى عداء أحد ، « لا كتل كبيرة ولا كتل صغيرة » ، « بل أن » « **ننصرف كليا الى قضيتنا الواحدة** » ••

اهم شىء أن يذهب العرب الى جنيف ، « **والمبادأة لاتزال فى ايديهم** » ، متحدين متفاهمين ، حاسبين كل الحسابات ، حسابات السلم وحسابات الحرب كذلك ، بالقدر ذاته ، وذات الاستعداد ، وذات الدقة •

ويبرز السؤال :

اذا كانت نظرية الامن الاسرائيلية قد تحطمت ، وكان « فك الارتباط فى سيناء ليس مع اسرائيل ، بل مع امريكا » ، فكيف تتصرف امريكا غدا حيال ضمان الامن الاسرائيلى اذا تهدد من جديد ؟ أليست امريكا ضامنة للامن الاسرائيلى ؟

ثم أليس فى وسع اسرائيل ان تحول دون سير السلام ؟

« **طبعا** ... » يعترف السادات :

وهنا البراعة العربية فى التصدى ، هنا الحاجة الى البراعة •

وهنا الحاجة الى تصور فذ للمستقبل ، مستقبل خريطة الشرق الاوسط •

فاذا كانت امريكا هى التى ستحمى اسرائيل وتتحمل مسئولية الدفاع عن امنها ، كما ثبت ذلك بعد حرب اكتوبر واضطرار امريكا للدخول مباشرة فى الحرب بعد اليوم الرابع ، ثم اعتراف كيسنجر للسادات خلال المباحثات الاولى بان امريكا ستدخل مباشرة فيما اذا ضربت مصر جيب الدفرسوار ـ وكان فى وسعها ان تضربه •••••

اذا كان الامر كذلك ، فمن الطبيعى ان نطلب الى امريكا ، وننتظر منها ،

ان تحدد هى ، لا اسرائيل ، حدود مفاهيم الامن الاسرائيلى المطلوب ضمانه .. وان يكون هذا الضمان لحدود اسرائيل المعترف بها دوليا ، بدل حدود احتلالاتها ومطامعها ..

ويلوح السر الذى ليس سرا : ان سلامة اسرائيل ستضمنها اذ ذاك معاهدة دولية ، اذ لا ضمانة لها ، تجاه القوة العربية ، الا هكذا .

معاهدة دولية ام امريكية ؟

لماذا امريكيه ؟ .. وهل سحب الاتحاد السوفيتى اعترافه بأسرائيل ؟ هل قال يوما انه يسمح بازالة اسرائيل، بتهديد وجودها الدولى ؟

ولكن ، فى المقابل ، يمكن العرب اذ ذاك ان يطلبوا ضمانا مماثلا من المجتمع الدولى لامنهم وحدودهم .. فضلاً عن ضمان تحمل الامم المتحدة لمسئولياتها ، اى تنفيذ قراراتها والزام اسرائيل بهذه القرارات وباحترامها .

هل هذا ما سيحمله السادات الى واشنطن ؟

هل هذا ما سيطرحه خلال زيارته هناك ؟

وهل يطرح ذلك فى زيارة الى موسكو ، قبل واشنطن ؟

تفهم منه انه اذا كان من قمة مع السوفيت ، قبل قمة واشنطن ، فيجب ان تكون فى القاهرة .. لقد زار موسكو اربع مرات ، الم يأت دورهم لزيارته الان ؟

السادات يتكتم . وزير خارجيته سيذهب الى موسكو ، وهو سعيد بذلك . لقد فهمه السوفيت ويرجو ان يفهموه أكثر . بدأوا يتجاوبون .ولابأس اذا كانت سوريا أكثر منه حظا معهم ، «فنحن وسوريا قاسمان ،جبهةواحدة».

انما الاهم من واشنطن وموسكو هو القمة العربية فى ٢٦ تشرين ... السنة ، التى تكون قد انقضت منذ الحرب ، يجب أن تزيد العرب قوة لا ان تكون قد اضعفتهم . الشرط ان يعرف العرب ماذا يريدون ، وان نوقف المزايدات الطفيلية والمراهقات الفكرية .. ان نواجه مواقفنا ومسئولياتنا بشجاعة وان نحدد اهدافنا بشجاعة .. وان نلتزم بما نريد وان نقول ذلك ونلتزم بما نقول !

والقمة العربية يجب ان يسبقها — يجب ، يجب . يجب ، يشدد السادات — تنسيق بين دول المواجهةوالفلسطينيين. الفلسطينيون الذين يحسبهم السادات بمثابة دولة وأكثر ، والذين يريد ان تكون لهم دولتهم .. لا حساب عنده للسلم بدونهم ، لانه لا جنيف غدا بدون الفلسطينيين ، كما لم يكن جنيف أمس بدون السوريين ...

من هنا غضبة السادات عندما تحدثه عن « تحييد مصر » وعن « السلم الجزئى » .. عن امكانية قيام « خطوة فك ارتباط اخرى فى سيناء » .. عن تراجع اسرائيلى جديد الى خط العريش رأس محمد ، قبل فك الارتباط على الجبهة الاردنية ، مثلا ...

« ليس عندى مشكلة بالنسبة الى سيناء .. مشكلتى هى الجولان والقدس .. الذى يعلم والذى لا يعلم يجب ان يعلم يفهم انه بتحليل استراتيجى بسيط جدا عندما أوافق على انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، سينسحبون فورا الى حدودهم .. انا ليس عندى مشكلة ومع ذلك يأتى البعض ويقول بسخافة ان مصر ستنهى الحرب وحدها .. مصر عليها التزام قومى لا تتنازل عنه ... انها مستشعرة مسئوليتها العربية تماما ولا يمكن ان تفرط ابدا باى شبر من الارض العربية .. فليكن معلوما اذا : مشكلتى الوحيدة وهمى الوحيد هو الجولان والقدس . »

الجولان والقدس ...

القدس !... القدس !

غريب قدر مصر ...نعود الى القدر !

بل غريبة هذه المعادلة التى تحكم السياسة العربية ، فى الحرب والسلم معا ، وتتحكم بها :

ان لا شىء ممكن الحدوث فى العالم العربى بمعزل عن مصر .. ولا شىء يمكن أن تقبل عليه مصر أو تقدم أو تقبل به ، بمعزل عن العالم العربى اللى قلبه فلسطين والقدس .

لا مشكلة عند مصر غير الجولان والقدس ؟

هذا العملاق الذى اسمه مصر ، يزيد عدد سكانه سنويا مليونا وأكثر : أى قدر سكان الضفة الغربية ، وقدر سكان الخليج ، وفى سنتين قدر كل سكان ليبيا الاقل اليوم من سكان محافظة صغيرة فى مصر أو حى فى القاهرة ..

هذا العملاق ، مع ذلك ، تجده مشدودا الى خارج ، الى مسئوليات خارج ارادته تكاد تسريله أحيانا ، بلا سبب يفهمه !

لا مشكلة عند مصر ؟

غير صحيح ... لان المشكلة المصرية لا حل لها ، كذلك ، الا من خارج ، بالوحدة العضوية مع العالم العربى .

فى لقائه مع الصحفيين المصريين [الذين يكثرون من الانتقاد لفقدان الصابون ..] ، كان يقول السادات ، بمرارة بل بشىء من النفصة :

« عليكم أن تعرفوا انه لم يكن ممكنا أن يتاح لنا دولار واحد من المعونة العربية قبل أن نكتب بدمائنا ملحمة العبور ... وخلال الاسبوع الاول بعد معركة اكتوبر أرسل لنا الاشقاء العرب ٥٠٠ مليون دولار كمعونة عاجلة لولاها كانت مصر فى مأزق اليوم . لولا هذه المعونة لما كان لدينا رغيف العيش ، وليس الصابون ... »

تجد نفسك ، وانت تقرا ذلك ، انك مضطر لان تقول للسادات : وما هى الخمسمائة مليون ؟

المانيا الغربية اعطت ايطاليا ـ بينما كان يتكلم السادات ـ الفى مليون دولار [أى مليارين] حتى تمكنها من التغلب على صعابها الاقتصادية ... وبدون حرب ولا من يحاربون ولا اخوة ولا من يتآخون !

أمريكا أعطت اسرائيل أكثر من مليارين .

وأمريكا ذاتها أعطت أوروبا ، بعد الحرب العالمية الاخيرة ، عشرات المليارات وعلى سنوات ، حتى تمكنها من النهوض اقتصاديا ... وذهب بعض هذا المال الى الذين كانوا يحاربون أمريكا وانتصرت عليهم .

أغنياء العالم يساعدون الذين خسروا وحتى الذين انتصروا عليهم ... فلماذا لا يساعد اغنياؤنا ، بالحجم ذاته ، الذين انتصروا لنا ولهم ؟ ..

لماذا لا ننشىء « مشروع مارشال » عربى لانهاض مصر وتمكينها من الاستمرار فى تحمل أعبائها العربية ، التى هى مسئولية جميع العرب ، اغنياؤهم قبل الفقراء ؟

أو لماذا لا تبادر مصر الى الدعوة لمشروع سوق عربية مشتركة فورا ، سوق اقتصادية ومالية ، تنصهر من ضمنها القوى وتتحرك الرساميل العربية وفوائض الاموال ، فتجىء المشاركة فى الثروة بنسبة المشاركة فى المسئوليات

تشعر انه موضوع لا يريد السادات بحثه من هذه الزاوية . يقول لك :

« انا متفائل ... متفائل .. متفائل جدا جدا ! »

ويزيد بلهجة الحاكم المسئول :

« قبل المشاريع ، الثقة .. الثقة اولا »

وانا لا املك الا نصح الاخوان الذين يملكون وبناء جسور الثقة بيننا » .

عن أية « ثقة » تراه يتحدث السادات

فجأة ، تعود اليك صورة البطل الاسطورى يصارع القدر ... أقدارا ،

واقتدارا ، لا قدراً واحدا . لعله الوحيد فى التاريخ الذى أنهى حربا وحافظ عليها ، مستمرة ، فى آن واحد معا ..

« فى المرحلة التى نحن فيها ، أنا فاتح على جميع الجبهات .. ولكننى اعتبر أن الجبهة الاساسية هى الجبهة الداخلية ... فى الداخل ، علينا اعادة صياغة حياتنا ، حياة مصر ، من جديد بعد التجربة الطويلة التى خضناها ... من واقع المرحلة التاريخية التى نمر فيها ومن واقع تجاربنا السابقة ... ويجب أن تمشى هذه العملية ، عملية البناءالداخلى ، وعملية الانماءالاقتصادى واعادة التعمير ، جنبا الى جنب مع عملية الاستعداد الدائم للحرب ومحاولة الوصول الى السلام » .

ويعود يقفل السادات الحلقةالمنطقية حلقة منطق التدرين :

« مهما تكن الصعوبة ، صعوبة القيام بعملية البناء الى جانب المعركة ، فان ذلك أقل خطورة من مشكلة التمزق الداخلى الذى كنا فيه قبل اكتوبر » .

ويظل حاضرا فى ذهنك ، عندما تبحث مشكلة مصر الداخلية ، ان القضية السياسية فى مصر هى اقتصادية ... الاقتصاد ، أى التنمية ، أى مستقبل الحياة ، هو قضية مصر السياسيةالاولى أو على الاقل ، بكلام السادات :

« نقدر نقول ان الاقتصاد يغلب فى هذه المرحلة ... لذلك كان التصميم على تحميل حجازى مسئولية رئاسة الحكومة ، فهو استاذ ادارة أساسا واستاذ مالية ... أى ما نحن بمسيس الحاجة اليه الان : علم الإدارة ، والاقتصاد . وهذا ما يعطى ملامح المرحلة الحالية »

عند هذا الحد ، تتزاحم فى ذهنك كل الاسئلة المطروحة الان فى مصر . كل المناقشات .

ما هى دولة المؤسسات ؟

ما هو تصور السادات للحياةالجديدة التى يريد صياغتها لمصر ؟ ومن يصوغ هذه الحياة الجديدة ؟ والديمقراطية ؟ والحريات ؟

وهل تنسجم الحرية مع التنمية ؟

وماذا عن الاشتراكية ؟

وهل تنسجم مع الاحزاب ؟

وهل الاحزاب هى « المؤسسات » ؟

للمرة الاولى ، يوضح السادات الصورة التى فى مخيلته من « دولة المؤسسات » التى يريد بناءها مناشدا المفكرين وأصحاب الرأى « ان يطرحوا كل الافكار ، بلا تحفظ ، كل البدائل ، حتى نختار منها الافضل .. » .

تلك هى الديمقراطية .

فى البدء يكون الدستور :

« فى مخيلتى بعد ١٥ مايو انه لايمكن أن تقوم الدولة الا اذا قامت المؤسسات ابتدأنا بالدستور الدائم ودائما أصر على أن يبقى الدستور الدائم وثيقة أبدية . ليس بمعنى انه غير قابل للتعديل ، فهو فيه نص على أصول تعديله ، وانما يبقى وثيقة واجبة الاحترام والتقديس ، اذا شئنا تعديله نعدله بالاسلوب الدستورى الموجود ضمنه . ولكن المهم انه يكون قد بات لنا دستورا دائما لا نقاش فيه من حيث الاساس ولو كانت كل مواده قابلة للتعديل ، ولكن دستوريا » .

عن نموذج دولة المؤسسات :

« ان فى راسى اطارا عاما ، ليس تفاصيل . كل منـاى أن تتحرك كل الملكات وتتكلم وتنصح وتبدع ... وأنا غير مغلق اطلاقا لاى فكرة .. أنا أريد أن نخرج من واقع المرحلة التى نمر فيها والتجربة الديمقراطية السابقة الحزبية التى كانت عندنا ... ثم نناقش ذلك ، فاذا وجدنا أن ذلك انسب لنا ، نرى الصيغة التى نعمل بموجبها ، ولكن داخل اطار تحالف قوى الشعب ... فالمهم هو الوحدة الوطنية الكائنة فى هذا الشعب ... منذ ايام ثورة عرابى ،

وما قبل ثورة عرابى ، ثم بعد عرابى ثورة ١٩١٩ ، الوحدة الوطنية هى القاعدة والتشتيت كان دائما فى مصر هو شواذ ... اذن علينا ان نبحث عن الصيغة التى تضمن وحدتنا الوطنية باحزاب أو بدون أحزاب ، ثم نعمل بها ... شرط أن تكون الاحزاب من ضمن الوحدة الوطنية ... فلو تبصرنا في النظام الحزبى فى انجلترا مثلا ، نرى انه مهما اختلفت الاحزاب فى برامجها هناك خط قومى ، خصوصا فى السياسة الخارجية ، لا خلاف عليه ، كانه تعاقد اجتماعى أو قومى ... وهذا ما أريد ان اتوصل اليه هذا هو الشىء الوحيد الذى أطلبه : الاتفاق على الخط القومى ... تحت أى نظام وتحت أى أسماء ، نرى بعد ذلك ، لا يهم » .

فى اطار « التصور العام » هذا الذى يتخيله السادات ، تنجلى حقيقة عزمه على ترك رئاسة الوزراء وتميزه بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء ، بصلاحياته المقبلة .

فالسادات يقول انه تسلم رئاسة الوزراء فى الظرف الذى كان « **لايصدق فيه أحد ، لا فى الداخل ولا فى المحيط العربى ولا فى المحيط الخارجى ، اننا سنحارب ونتغلب على الصعاب .. قلت ان ذلك قدرى وعلى أن أتحمله وتحملته ... والان بمجرد ما وصلنا الى الارض الصلبة ، انتهت مهمتى كرئيس للوزراء** « فى الاطار العام الذى اتخيله أن رئيس الدولة فوق كل هذا وبعيد عن كل هذا ، عن كل التفصيلات التى بين الاجهزة والمؤسسات ، وهو حكم بين الاجهزة والمؤسسات ... يجب أن تقوم المؤسسات ووظيفة رئيس الدولة أن يكون حكما بين هذه المؤسسات .. »

وكانت الصحف قد نشرت ، فى بريد القراء ، اقتراحا من مواطن عادى بأن يجرى انتخاب رئيس الجمهورية من الشعب بين مرشحين متعددين ، لا أن يجرى اختياره باستفتاء .. فبادر الرئيس الى قول نعم .. ولم لا ؟ ولم لا ينتخب الشعب كذلك نائب الرئيس ، أو نواب الرئيس ؟

وهذا الجديد الجديد :

« **أما رئيس الوزراء ، فيتغير .. اذا فشل ، يتغير . يحاسبه البرلمان . وأمام الشعب ... يسقطه مجلس الشعب اذا فشل** »

والجديد هذا ليس بعيدا . فى هذا الشهر بالذات ، اختار السادات أن يجىء رئيس وزراء غيره ، أن يجىء حجازى رئيس وزراء بدل أن يظل نائب رئيس الوزراء ... اختار « **الظرف الذى تنجز فيه الخطة الاولى القصيرة العاجلة التى هى العبور الثانى من مرحلة الارهاق والانهاك التى كنا فيها الى بدء مرحلة الانطلاق ، وهى تنتهى فى ١٩٧٥ وبمجرد ما توضع خطة التنمية للمرحلة المقبلة ، تعرض على الشعب وتقدم الى البرلمان ، ويجىء رئيس الوزراء ويباشر بالتنفيذ . وهذا سيتم فى هذا الشهر** »

والجديد أن السادات سيطلق «الثورة الادارية» اذذاك ، فتتمكن الاجهزة من مواجهة تبعات الانفتاح ، وهى الزاحفة تحت كاهل القوانين والانظمة البالية ، تكاد تعطل الانطلاق الانمائى ، فلا تظل الضائقة الموروثة فى « مجادلة حائرة » مع الانفراج الموعود ..

وجديد آخر لم يقله السادات من قبل سر يبوح به للمرة الاولى ، ولعله قرار يتخذه تجاوبا مع بعض المطالبات ، وربما تجاوبا مع نظرة الحساب كذلك .

انه سيطلب من مجلس الشعب تعيين لجنةلتقصى حقائق ما حصل عام ١٩٦٧ . حقائق حرب حزيران والنكسة وكلجوانبها ليس للحساب طبعا وانما للتاريخ ، للعبرة ، حتى نتعلم امثولات التاريخ .

كم بعدنا عن النكسة وعن حرب الايام الستة وعن عام ١٩٦٧ .

لا تحاول أن تسأل السادات عن ذلك معه لا عبور الى الوراء .

الماضى مات . ومات عبد الحكيم عامر الذى لم يصدق أن الحرب ستقع عندما نبهه عبد الناصر مرة ، مرتين ، ثلاث مرات ... وكان السادات حاضرا مع ذلك ، لا عبور الى الوراء .. ذلك هو التاريخ ، للتاريخ .

بل ذلك كان قدر « السنوات الست العجاف » .

أما الان ، فتطلع الى سنوات ست مقبلة ؟

هل تكون سنوات سمانا ؟

ذلك هو التحدى المثلث :

عبور القناة ... وعبور التنمية ... ثم العبور الى التاريخ .

واذا كانت الرجال لا تختار اقدارها فالرجل الجالس يتطلع الى البحر وكأنه يستقرئه المستقبل اختار على الاقل أمرا واحدا : أن يختار الحرية طريقا لمواجهة القدر .

أتراه يعرف أن الانتصار على القدر حينما يتزايد حجمه مع الزمن ، تضاعف الحرية مسئولياته بنسبة جماله وعظمته وأكثر ؟

غسان تويني